٣٦. الرحلة ٨٠٤

لا استطيع تخيل ، او بمعني اصح لا استطيع التوقف عن تخيل منظر ركاب الطائرة ٨٠٤ العائدة من باريس و هم جالسون في مقاعدهم يأكلون و يشربون، مطمئنو البال. اسمع صوت كابتن الطائرة في الميكرفون يهنئهم بقرب الوصول للحدود الجوية المصرية. ارى الفرحة و البسمة تظهر علي الوجوه. البعض يهنئ البعض الاخر بالسلامة.

فهناك يجلس زوج مخلص يرقص قلبه فرحا بشفاء زوجته من مرض خبيث ، يمسك يدها فرحا بعد كل الالم الذي اعتصر قلبه عندما علم بمرضها و زوجته تنظر له في سعادة، ليست فقط سعادة الشفاء و لا سعادة العودة للابناء بعد ان استودعتهم عند الاهل، بل سعادة الحب و الاخلاص لزوج ذو قلب حساس و نادر الوجود. و هذه اسرة تستعد لقضاء وقت سعيد معا في شرم الشيخ، تمتلئ حقائبهم بواقيات الشمس و ملابس السباحة ، و هذا رجل اعمال كان قد غير موعد رحلته ليختار هذه الطائرة بالذات و كأنه علي موعد مع الموت . و هناك طاقم الطائرة يقوم بعمله باتقان واحترافية ، فهذه المضيفة الشابة طالما سيطرت عليها فكرة الموت غرقا أثناء تأدية عملها و لكنها كانت تتجاهل الفكرة لتبعدها عن ذهنها ، تغدو في الطائرة بنشاط و همة ، و هذه رئيسة طاقم الطائرة تلك المرأة الجميلة التي اعتزلت الفن لتربي ابنتها التي ذاقت مرارة اليتم منذ شهور عدة ، تراقب العمل علي متن الطائرة بدقة و و تفان ، وهذا كابتن الطائرة يتسامر مع مساعده بعد عناء الرحلة ثم..

فجأة، يحدث شئ غريب، غير متوقع ، غامض غموض البحر . كابوس أسود يحيط بالطائرة ، فتنقلب الطائرة رأسا علي عقب، تخيل تدور الطائرة ٣٦٠ درجة! تصبح رؤوسهم مكان أقدامهم! ثم تعود

فتعتدل ثم تعود فتنقلب ، و أخيرا تهوي! فيموت من الخوف بعضهم و يموت من تغير ضغط الهواء البعض الاخر ، و يلعب قانون الجاذبية الارضية لعبته فيجذب الطائرة وركابها بقوة نحو الارض! فتتحطم الطائرة ، ربما في الفضاء ، فيتطاير الركاب فيملأون السماء ثم نجد أحدهم في الاسكندرية و الاخر في الضبعة ، نجد يد في اليونان و اشلاء في البحر، الذي أشك انه كان أبيضا حينها!

هل يمكن أن تكون هذه الحادثة بهذه البشاعة بفعل فاعل! عمل ارهابي اسود! لا ليس أسودا ، يجب أن نجد لونا اخرا نصف به الارهاب ، لونا من الالوان لم نره بعد ! لونا يصف الحقد بدقة و يعبر عن كم الهمجية التي يتسم بها اولئك الكائنات الذين يصعب وصفهم بالانسان و لم يرتقوا بعد لدرجة الحيوان! لون الارهاب هو مزيج من زرقة الدم الفاسد و الاحمر القاتم تختلطان مع عدد اخر من الالوان لا نعرفه و لا نريد ان نعرفه لاننا نظلم الالوان حينما نشبه به ، فقد خلقت الالوان لتضفي بهجة و ليس لتشع خبثا.

ان هذا الحادث ليس فريدا من نوعه، و عدد الموتي فيه ليس عددا ضخما ، و الا انه يفيقنا علي الحقيقة الغائبة عنا بأننا يجب أن نستعد للقاء حتفنا في أي لحظة ، فالموت قريب جدا منا ، غير أننا نتعامي عن رؤيته او نعتقد دائما أننا محصنون منه و أنه قد يصيب الكل الا انفسنا و احبائنا، و كأن الموت صديقنا الوفي الذي لن يطالنا بأيديه أبدا ! وفي لحظة، تجد الموت يحلق فوق رؤسنا ثم يحط علي احدنا و يغدر بنا ، و يطعننا في ظهورنا!

فانفض عنك عزيزي تراب التغافل ، وانتبه ، ولا تنغمس في جراحك. ذكر نفسك دائما بالحقيقة الوحيدة الثابتة في حياتنا التي

سواء تغافلنا ام لم نتغافل عنها.

يجب ان نسلم بانه تعددت الاسباب و الموت واحد ، و ما علينا الا أن نلملم شتاتنا و نداوي جرحنا ونعزي أنفسنا بأن لكل اجل ميعاد مكتوب . فادع معي لاهالي ضحايا الطائرة المنكوبة بالصبر و السلوان فاللهم خفف عنهم و انزل السكينة علي قلوبهم، و اجعلها اخر الاحزان وانا لله و انا اليه راجعون

٣٧. حتي تكتمل الدائرة

1.

لم تكن تدرك أن للحياة وجه اخر، وجه يختلف عن الوجه المشرق الصبوح الذي استقبلتها به في بدايات العشرينات من عمرها، عندما التحقت بالجامعة ، و ما أجمل أيام الجامعة، و عندما تعرفت علي فارس احلامها و حلمت به و معه، .عندما زفت اليه و ارتدت فستان عرسها الابيض لتدخل عش حبهما الصغير ملكة متوجة . و عندما التحقت بأول وظيفة عملت بها، كم هو جميل ان تري الحياة تبتسم لك و تحقق لك احلامك الواحد تلو الاخر! انها تتذكر جيدا متعة اكتشافها لحملها بذرة الحب الاولي في احشائها، لن تنسي تلك النظرة الممتلئة بالحيرة و الفرحة و الفخر التي رأتها في عين زوجها عندما زفت اليه بشرة الابوة المنتظرة.